أولا ـ بداية أسرة مناد :

يذكر المؤرخون أن مناد بن منقوش كان على رأس قبيلة "تلكاتة" البربرية قبل سقوط الدولة الأغلبية سنة 296 هـ/909 م، وكان يحكم قسما من افريقية باسم العباسيين وبواسطة الأغالبة، وكان يتميز بالكرم والضيافة وكثرة الولد، ونُصرة المظلومين، وقد تنبأ له أحد الرجال بأن من أهم أولاده زيري الذي سيملك المغرب[1]، ولما وُلد له زيري وكبر أصبح على رأس بني عمومته يشن الغارات ويحضر الغنائم، واكد ابن الأثير على هذا الأمر حين ذكر أن زيري قاد الكثير من صنهاجة وأكثر بهم الغارات[2].

ثانيا ـ تأسيس مدينة أشير 324 هـ/ 936 م :

نظرًا للحظوة الكبيرة التي نالها زيري بن مناد عند الخلفاء الفاطميين فقد أولوه عناية كبيرة لأنه يحمي جانبهم الغربي، ولأن أتباعه كُثر فقد عكف زيري إلى تأسيس عاصمة له، وقد ساعده القائم بأمر الله حين أرسل له الحرفيين لمعاونته في بنائها[3]، وسُرعان ما عمرت المدينة بالتجار والساكنة والعلماء[4]، وغير بعيد عنها أسس علي بن حمدون مدين المسيلة التي كانت تمثل أيضا دور الحامي من الجهة الغربية للدولة الفاطمية من ضربات الزناتيين، وكان ذلك بين سنوات 313 – 315 هـ/ 925 – 928 م، وكان ولدَا علي جعفر ويحيى قد تربيا في بلاط أبي القاسم القائم بأمر الله، وسيخلفانه فيما بعد ويكونا في خدمة المعز لدين الله[5]، ويُفهم من هذا أن زيري بن مناد كان في طاعة الفاطميين وخدمتهم إذ كان له دور في القضاء قوة أبي يزيد الخارجي، مما ستكون له نتائج إيجابية على مستقبل أبناء زيري فيما بعد .

كان للانتصار الكبير الذي حققه بلكين بن زيري على الزناتيين 360 هـ/ 971 م ناحية تلمسان ومقتل سبعة عشر من زعمائهم الأثر البالغ في بروز الأسرة الزيرية وقوة بلكين زعيمهم، حيث أرسلت رؤوس هؤلاء إلى الخليفة المعز، كما أن زعيمهم محمد بن أبي الخير الزناتي قتل نفسه

---

[1] حمادي الساحلي، الدولة الصنهاجية ، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 م، ج1 ، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 م ص 39 .

[2] ابن الأثير ، مصدر سابق، ج 8، ص 246 .

[3] النويري، مصدر سابق، ص 88 .

[4] حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 44 .

[5] نفسه، ص 47 .

خشية القبض عليه[1]، فزاد هذا الأمر من أهمية شخصية بلكين في نظر المعز، لكن الصراع الذي كان بين جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة وبين زيري بن مناد أقلق المعز حيث استدعاهما للتصالح فأبى جعفر القدوم، بل إنه تحالف مع الأمويين في الأندلس وكان سببًا في مقتل زيري بن مناد، وأرسل رأسه الى الحكم المستنصر بالأندلس ونزل عليه ضيفًا[2].

أ ـ بلكين بن زيري : 361 – 373 هـ / 972 – 984 م

تولى بلكين قيادة صنهاجة بعد مقتل والده، وبدأ حملة قوية للانتقام له، فغزا المغرب الأوسط بأكمله من طبنة إلى باغاية إلى المسيلة وصولا إلى تاهرت، وأجلى من تبقى من زناتة إلى ما وراء نهر ملوية، وقبض على الخير بن محمد الذي كان قد قتل والده فقام بإعدامه بالقرب من سجلماسة، وكان هذا سببا في رفعة بلكين عند الخليفة المعز، إذ جعل تحت إمرته كامل المغرب الأوسط[3]، وقبل رحيل الفاطميين إلى مصر أنفذ المُعز كتابا إلى جميه جهات المغرب يُعلمهم أن سلطانه على المغرب هو بلكين بن زيري بن مناد، وقد أورد صاحب المؤنس قوله في هذا أن بلكين" لما وصل إلى المعز جلس له في الإيوان... وتحدث معه وشكر له أفعاله وقلده سيفه وخلع عليه خِلعه من لِباسه وقاد بين يديه أربعين فرسًا بسروج الذهب المُثقلة ... ومن هنا نذكر توليته وبنيه من بعد ..."[4]، كما أن المعز لقبه بأبي الفتوح سيف العزيز بالله، ويذكر ابن عذاري أنه أطلق عليه لقبا فخريًا وهو سيف الدولة[5].

ب ـ المنصور بن بلكين : 373 – 386 هـ / 984 – 996 م .

كان المنصور واليا على أشير ولما بلغه وفاة والده خلفه على الإمارة، وأول ما قام به هو تقليد عمه "أبا البهار" على تاهرت وأخاه "يطوفت" على أشير، وكان المغرب الأقصى يظطرم بنار الحروب التي اقامتها زناتة بزعامة زيري بن عطية المغراوي، فأوفد إليه المنصور أخاه "يطوفت" لكن هذا الأخير مُني بهزيمة ساحقة قُتل فيها معظم جنده وقادته، باستثناء سعيد بن خزرون

[1] ابن بسام، مصدر سابق، ج1 ، ص 461 .

[2] ابن عذاري، البيان ...، ج 2 ، ص 257 .

[3] حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص ص 69 – 70 .

[4] إبن أبي دينار، المصدر السابق، ص 73 .

[5] ابن عذاري، البيان ...، ج 1، ص 295 .

الزناتي الذي قدم طاعته الى المنصور فعينه على طبنة سنة 379 هـ/ 989 م، وظل عليها إلى أن توفي سنة 382 هـ/ 992 م، فخلفه إبنه فلفول[1].

كما قامت على المنصور ثورتان الأولى بقيادة الداعي أبو الفهم الخراساني سنة 376 هـ/ 986 م، وانضم إليه الكثير من كتامة، لكن المنصور سار إليه وخرب بلاده وقبض عليه وقتله سنة 378 هـ / 988م، والثورة الثانية كانت بقيادة عمه البهار في مدينة تاهرت سنة 379 هـ/ 989 م، فزحف إليه المنصور بنفسه حيث تمكن من استرداد تاهرت، أما البهار فقد فر الى المغرب الأقصى ثم إلى الأندلس حيث دخل في طاعة المنصور بن أبي عامر، وما لبث المنصور أن توفي سنة 386 هـ/ 996 م وخلفه على الحكم ولده باديس[2].

ج ـ باديس بن المنصور : 386 – 406 هـ / 996 – 116 م .

توفي المنصور سنة 386 هـ / 996 م ودفن بالقرب من قصره خارج المنصورية، وخلف على العرش إبنه باديس، فجدد لفلفل ولاية طبنة، وفي سنة 393 هـ/ 997 م عقد لعمه حماد على أشير[3]، وكان باديس رغم صغر سنه شجاعا مقداما، وكان مُحسنًا لأصحابه عافيا عن إسائتهم[4]، كما أقر محمد بن أبي العرب عاملا على افريقية، وكان على قدر كبير من الثقافة الواسعة، واستمر في منصبه الى أن توفي سنة 396 هـ/ 1005 م فخلفه ابنه أبو اقاسم[5].

أما عن علاقته بالخلافة الفاطمية بمصر فتذكر المصادر أن باديس بعث بهدية إلى العزيز بالله، كما وصلته هدية من العزيز بالله سنة 387 هـ / 997 م ومعها القاضي "الباهري" فاستقبله باديس استقبالا حافلا، حيث وصلته رسالة من العزيز الذي لقبه بنصير الدولة، وعهد بتوليته على افريقية[6]، ثم عاد القاضي المذكور إلى مصر حيث أرسل معه باديس هدية إلى الخليفة[7]، واستمرت واستمرت العلاقات ودية بين الزيريين والفاطمين طيلة حكم باديس وتعددت الإرساليات الهدايا.

---

[1] ابن عذاري، البيان ...، ج 1، ص 353 ، أنظر أيضا، حاد الساحلي، المرجع السابق، ص 11 .

[2] ابن عذاري، البيان ...، ج 1، ص 353 .

[3] ابن عذاري،البيان ...، ج 1، 248 .

[4] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79 .

[5] ابن عذاري، البيان ...، ج1، ص 259 .

[6] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 78 .

[7] ابن عذاري، البيان ...، ج 1، ص 249 .

د ـ المعز بن باديس : 406 – 453 هـ / 1015 – 1061 م

تولى الإمارة وهو ابن تسع سنوات وكفلته السيدة أم ملال، وقد سار الى القيروان ودخل قصر المنصورية سنة 407 هـ/ 1016 م، وقد تميزت مرحلة المُعز باضطهاد الروافض الذين تعرضوا للقتل في جميع نواحي افريقية، حتى أن الشعراء تغنو بهاته الوقيعة إذ أنشد أبو الحسن المعروف بابن زنجي قائلا في هذا :

ويَا نِعمةً بالقيـروان تَبَاشــرتْ بِهَا عُصب بَــينَ الحَــطِيم وزَمْــــزَمِ

وأَهْدَتْ إلى قَـبْرِ النَبِي وصَــــحْبِهِ سَلامًا كَعُرْفِ المِسْكِ عن كُلِ مُسْلِمِ

كان هذا أشد ما تخشاه الخلافة الفاطمية في مصر ففي آخر ذي الحجة سنة 407 هـ/ 1016 م وصلت الرسل من مصر بسجل الحاكم إلى المعز واللقب والتشريف، وخُوطب بشرف الدولة[1]، والأكثر من هذا هو التقارب الذي أظهره المعز مع الخلافة العباسية حيث ذكر النويري " وفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة أظهر المُعز الدعاء للدولة العباسية، ووردت عليه الرُسل ووصله السِجل من القائم بأمر الله" وقد خاطبه الخليفة بعدة ألقاب منها الملك الأوحد نور الإسلام وشرف الأيام وعُدة الأيام وعُمدة الأنام، ناصر دين الله وقاهر أعداء الله ...أبي تميم المعز بن باديس ولي أمير المؤمنين[2]، ولكن هذ القطيعة كان لها نتائج كارثية على المغرب[3].

كانت سياسة المُعز ترمي إلى تطهير المغرب كله من الشيعة، فبعد أن خاطب وُد الخلافة العباسية وأعلن ولائه لها، اعتمد المذهب المالكي المذهب الرسمي للدولة، لكن هذا لم يمر مرور الكرام على الخلافة الفاطمية في مصر إذ انتقم منه هؤلاء، وكانت فكرة اليازوري وزير الخليفة المستنصر تقضي بإرسال عرب بني هلال وبني سليم إلى المغرب وبالفعل حدث ذلك إذ اندفع هؤلاء باتجاه المغرب في موجات عاتية.

1 ـ هزيمة المُعز أمام العرب الهلالية:

خرج المعز من القيروان ومعه ثلاثون ألف من الجند وعلى مقربة من جبل "جندران" اصطدم بهؤلاء وقائدهم مؤنس بن يحيى المرداسي الذي حرض أتباعه على القتال قائلا لهم : ما هو بيوم فرار وعلى إثر هذه المعركة مُني المُعز بهزيمة ساحقة قُتل فيها الكثير من جنده، وبالرغم من

[1] النويري، مصدر سابق، ص ص 111 ، 113 .

[2] نفسه، ص 116 .

[3] جورج مارسي، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999 م، ص 181 .

معاودة الكرة من طرف المُعز في يوم عيد الأضحى إلا أنه خسر مرة أخرى، بل إن العرب تحركوا إلى القيروان وحاصروها واستولوا عليها ثم استولوا على المهدية سنة 449 هـ / 1057 م، ويبدو أن المُعز لم يتحمل كل هذه الهزائم فلم يلبث طويلا حيث توفي بداء ضعف الكبد سنة 453 هـ/ 1051 م، وخلفه ابنه تميم، الذي أعيته حروب الأثبج ورياح من العرب حيث فر وتحصن بسوسة واحتمى بأهلها، واستمر في حروبه مع الحماديين من جهة والعرب من جهة أخرى إلى أن وافته المنية سنة 501 هـ/ 1107 م[1].

ثالثا ـ نهاية الدولة الزيرية :

كان انقراض دولة بني زيري في عهد الحسن بن علي بن يحيى الذ خرج عن المهدية بسبب تهديدات الفرنج، وكان ذلك سنة 543 هـ / 1148 م، وكان قاصدا مصر لكن قائد الروم سمع بوجهته فكمن له، فحول وجهته إلى الموحدين، حيث سار إلى مراكش وبقي هناك فيما تبقى من حياته، وشهد مع عبد المؤمن فتح المهدية وهكذا انتهى ملك الزيريين بعد أكثر من قرنين من الزمان[2]

[1] النويري، مصدر سابق، ص 121 ، 122 ، 126 ، 130

[2] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 214 – 215 ، أنظر أيضا، النويري، مصدر سابق، ص ص 138 – 139 .